

اللغة العربية
الصف التاسع

مِنْ ذَاكِرَةِ جَدِّي



بَيْنَ يَدَيِ النَّصِّ:

مِنْ ذَاكِرَةِ جَدِّي نَصُّ قِصَصِيّ، يَعْرِضُ جَانِباً مِنْ حَيَاةِ الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيّ، وَيُوَثِّقُ لِدَاكِرَةِ وَطَنٍ لَا يَنْتَهِي الْحَزِينُ إِلَيْهِ، وَيَظَلُّ أَمَلُ الْعُودَةِ حُلماً يَعْيشُهُ الْأَجْدَادُ فِي ذَاكِرَتِهِمْ، وَأَمَانَةٌ يَنْقُلُونَهَا إِلَى أَحْفَادِهِمْ حَتَّى لَا يَنْسُوا. وَهَذِهِ الْقِصَّةُ تُوَثِّقُ لِأَحْدَاثٍ عَايَشَهَا جَدُّ فِلَسْطِينِيّ، يُحَدِّثُ أَبْنَاءَهُ وَأَحْفَادَهُ بِاسْتِمْرَارٍ عَنْ حَيَاةِ الْبَسَاطَةِ وَالْاِسْتِقْرَارِ وَالسَّعَادَةِ فِي قَرْيَةِ (أُمِّ خَالِدٍ) قَبْلَ النَّكْبَةِ، وَشَرِّ الْاِحْتِلَالِ لِحَمَلَاتِ الْإِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ الَّتِي طَالَتْ الْبَشَرَ، وَالْحَجَرَ، وَالشَّجَرَ، مُخَلِّفَةً رِحْلَةَ الْمَنْفَى الْمَرِيرَةَ فِي مَخِيْمَاتِ الْجُوعِ مِنْذُ عَامِ 1948 لِلْمِيلَادِ. وَلِلْقِصَّةِ أَهْمِيَّتُهَا فِي تَرْسِيخِ الْفِكْرِ، وَتَعْمِيقِ الثَّقَافَةِ، وَتَجْدِيرِ الْاِنْتِمَاءِ.

مِن ذَاكِرَةِ جَدِّي

حَنِينُهُ يَشُدُّنَا جَمِيعاً، وَيَنْقُلُ لَنَا قِصَصاً مِنْ مَاضٍ تَرَكَ عَلَى مَلَاحِجِهِ خُطوطاً مِنْ تَفَاصِيلِهِ، وَأَثراً وَاضِحاً فِي نَبْرَةِ صَوْتِهِ، وَتَجَاعِيدِ وَجْهِهِ، الَّتِي غَدَّتْ صَفَحَاتٍ تَرُوي حِكَايَاتٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْبَعِيدَةِ. جَلَسْنَا إِلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ تَلْفُنَا بِمِعْطَفِهَا الدَّافِي، فَأَخَذَ جَدِّي يَتَحَدَّثُ كَعَادَتِهِ... وَيُسَلِّسُ حَدِيثَهُ دُونَ أَنْ نَمَلَّ سَمَاعَهُ، عَنْ عَيْشٍ مَضَى بِتَفَاصِيلٍ تَدْفَعُهُ لِلاِسْتِمْرَارِ فِي سَرْدِهَا دُونَ كَلَلٍ. وَنَجِدُهُ يَغْضَبُ، وَيُزَلْزَلُ وَجْدَانَهُ سَمَاعُ صَدِيقٍ يَسْتَهِينُ بِمَاضِيهِ، فَيَعْدُو صَخْرَةً لَا تُزْعَعُ.

الْجَدُّ: لَمْ يَبْقَ لِي فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ أَمْرٌ يَشُدُّنِي سِوَاهُ.

رِزَانُ: يَكَادُ يَكُونُ الْوَحِيدَ الَّذِي يَشْغَلُكَ دَائِماً، يَا جَدِّي.

الْجَدُّ: وَهَلْ يَشْغَلُنِي سِوَاهُ؟ حَاجَتِي إِلَيْهِ لَا تَنْتَهِي، فَهَوُ يَسْكُنُ رُوحِي، وَيَنْتَقِلُ مَعِي حَيْثُمَا حَلَلْتُ.

رِزَانُ: لِلَّهِ دَرْكٌ يَا جَدِّي مَا أَحْصَبَ ذَاكِرَتَكَ! هَلْ هُنَاكَ مَنْ تَتَسَعَّ ذَاكِرَتُهُ لِكُلِّ هَذَا؟! أَطُنُّكَ فَرِيدَ عَصْرِكَ. فَأَنَا ذَاكِرَتِي، لَا تَحْفَظُ سِوَى بَعْضِ الْقِصَاصِ، حَتَّى أَنِّي أَحَاوِلُ أَنْ أَرْدِدَهَا مِرَاراً وَتَكَرَّاراً؛ لَعَلِّي أَحْتَفِظُ وَلَوْ بِجُزْءٍ مِنْهَا، مَا أَرْوَعَ أَلَّا نَنْسَى...!

الْجَدُّ: أَوْ يَا بُنَيَّتِي، كَيْفَ لَنَا أَنْ نَنْسَى؟ هَلْ يَنْسَى الْمَرْءُ أَنْ يَنْتَفَسَ؟ وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَسَدَ نَضَارَتُهُ إِنْ غَابَتْ رُوحُهُ؟ وَهَلْ يَنْسَى الطَّيْرُ حُرِّيَّتَهُ إِنْ عَاشَ فِي قَفْصٍ مِنْ ذَهَبٍ؟ فَأَنَا أَحْيَا بِنَسَمَاتِ الرَّبِيعِ الَّتِي تُنْعِشُ قَلْبِي، كُلَّمَا هَبَّتْ مِنْ هُنَاكَ... فَأَشْتَمُّ مَعَهَا رَائِحَةَ الثَّرَابِ الْمُبَلَّلِ بِبَدَى الصَّبَاحِ.

رِزَانُ: مَاذَا قِصَدْتَ بِقَوْلِكَ: (مِنْ هُنَاكَ) يَا جَدِّي؟

الْجَدُّ: مِنْ أُمَّ خَالِدٍ، الْقَرْيَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ الَّتِي تُجَاوِزُ الْبَحْرَ، فَيُلَاطِفُهَا بِنَسِيمِهِ الْمُنْبَعِثِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ، سَأَظَلُّ أذْكَرُ أَبْنِيَّتَهَا، وَأَرْقَتَهَا، وَمَسْجِدَهَا الصَّغِيرَ، وَدَكَكِيَّتَهَا الْبَسِيطَةَ، مَهْمَا حَاوَلَ الْمُحْتَلُّ أَنْ يَكْتُمَ أَنْفَاسَ الْحَنِينِ، أَوْ يُغْلِقَ مَنَافِذَ الشُّوقِ؛ وَسَأَظَلُّ أَتَفَيُّاً ظِلَالَ أَشْجَارِ الرِّيتُونِ، الَّتِي ذَلَلَّتِ الْجِبَالَ، وَاتَّنَفَّسَ رَائِحَةَ الْبُرْتُقَالِ الْمُنْبَعِثَةِ مِنْ خَلَايَا أَجْسَامِنَا، وَيَتَجَدَّدُ حُبِّي لَهَا بِتَجَدُّدِ أَزْهَارِ اللُّوزِ فِي رُبُوعِهَا.

كَانَتْ سَعَادَتُنَا فِي عَيْشِنَا دَاخِلَ بَسَاتِينِنَا، وَحَوَاكِرِنَا، وَبِيَارَاتِنَا الْمُنْتَشِرَةِ، فَنَفْتَرِشُ ثُرَابَهَا أَوْ نَعْفُو فَوْقَ أَكْوَامِ الْقَشِّ فِي بِيَادِرِهَا، وَنَفْرُحُ مَعَ بَوَاكِرِ الْمَطَرِ، وَمَعَ تَبَاشِيرِ سَنَابِلِ الْقَمْحِ فِي حُقُولِنَا، الَّتِي مَا زِلْتُ أَسْمَعُ بُكَاءَهَا، وَهَيَجَانَ غَضَبِهَا، وَصَوْتَ حَنِينِهَا لِأَصْحَابِهَا وَأَهْلِهَا؛ فَقَدْ ضَاقَتْ دَرْعاً

ضَاقَتْ دَرْعاً: انْزَعَجَتْ وَضَجِرَتْ.

بِالْغَرْبَاءِ...

وَمِنْ خُيُوطِ الْفَجْرِ، نَسَجَتْ نِسَاؤُنَا هُنَاكَ عَبَاءَاتٍ، تَزِيدُهَا طُهْرًا، يُحَاكِي طَهَارَةَ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَمِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ، طَرَّرَتْ شَالَاتٍ لِلْعِرَّةِ وَالْكَبْرِيَاءِ. اشْتَدَّتْ سَوَاعِدُنَا، وَقَسَتْ زُنُودُنَا؛ مِنْ مُدَاعَبَتِنَا لِلْأَرْضِ بِمَعَاوِلِنَا، وَمِمَّا كُنَّا نُبْعِدُهُ عَنْ صَدْرِهَا مِنْ ثَقِيلِ الْحِجَارَةِ، عِنْدَ تَهَيُّبِهَا لِلزَّرْعَةِ.

لَمْ نَعْرِفْ طَعْمًا لِلْمَصَائِبِ آنَذَاكَ لِإِيْمَانِنَا وَتَوَكُّلِنَا وَبِرَاءَةِ أَخْلَامِنَا، فَمَا كَانَتْ مَطَامِعُنَا تُقْلِقُنَا، بَلْ هِيَ حَيَاةُ
الْبَسَاطَةِ وَالِاسْتِفْرَارِ.

رَزَانُ: حَدِّثْنِي أَكْثَرَ، يَا جَدِّي.

الْجَدُّ: مَا أَشْبَهَ الْيَوْمَ بِالْأَمْسِ، يَا صَغِيرَتِي!

فِي يَوْمٍ مُشْمِسٍ مِنْ أَيَّامِ عَامِ الْفِ وَتِسْعِمِنَةِ وَثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ لِلْمِيلَادِ، جَلَسْنَا وَسَطَ حَدِيقَةِ مَنْزِلِنَا
فِي الْقَرْيَةِ، نَتَبَادَلُ الضَّحِكَاتِ، وَنَتَنَاوَلُ فَطُورَنَا مَعَ الْعَصَافِيرِ، فَهِيَ لَا تَتَوَقَّفُ عَنِ الرَّقْرِقَةِ وَالْحَرَكَةِ مِنْ حَوْلِنَا،
كَأَنَّهَا تُشَارِكُنَا فَرِحَةَ الْاجْتِمَاعِ.

رَزَانُ: جَمِيلٌ يَا جَدِّي، فَأَنَا أَحِبُّ تِلْكَ الْأَجْوَاءَ، وَمَاذَا بَعْدُ؟

الْجَدُّ: لَنْ أَنْسَى تَارِيخًا أَمَلْتُ قَلْبِي أَحْدَانَهُ، فَالِسَّمَاءُ كَانَتْ فِيهَا مَا يُنْذِرُ بِكَارِثَةٍ عَلَى وَشَكِّ الْخُدُوثِ. وَمَشْهَدُ الْأَلَمِ
بَدَأَ يَرْتَسِمُ بِالْوَانِ قَاتِمَةً، وَخُطُوطٍ حَادَّةٍ بَائِسَةٍ، فِيهَا الْقَسْوَةُ وَالْحُزْنُ. غَادَرَتِ الطُّيُورُ أَعْشَاشَهَا، وَرَأَيْتُ
الْقَرْيَةَ حَوْلِي قَدْ تَرَلَزَلَتْ دُورَهَا، وَالْأَرْضُ تَبَدَّلَتْ مَلَامِحَهَا غَضِبًا، كَأَنَّهَا اسْتَثْقَلَتْ خُطُواتِ مَنْ اقْتَحَمَهَا دُونَ
اسْتِئْذَانِ، مِنْ عِصَابَاتِ صَهْيُونِيَّةٍ هَمَجِيَّةٍ أَتَتْ مِنْ عَالَمٍ غَرِيبٍ، مَشْحُونَةٍ عِدَاوَةً وَكَرَاهِيَةً لِلْعَرَبِ،
وَلِلْفِلَسْطِينِيِّينَ الَّذِينَ يُعْرِفُونَ بِصَبْرِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ وَإِيْمَانِهِمْ.

سَارَتْ قَوَافِلُ النَّاسِ بِاتِّجَاهِ الشَّرْقِ، تَارِكَةً بِيوتَهَا، بِأِحْتِةٍ عَنِ الْأَمَانِ مِنْ مَجَازِرِ تُرْتَكَبُ بِوَحْشِيَّةٍ
بِحَقِّهِمْ، وَمِنْ أَحْدَاثٍ يَتَنَاقَلُونَهَا بَيْنَهُمْ عَنْ تَدْمِيرِ قُرَى فَوْقَ رُؤُوسِ أَصْحَابِهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ نَسِيَتْهُ أُمُّهُ مِنْ شِدَّةِ
خَوْفِهَا وَهَلَعِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَشْهَدَ فِي الطَّرِيقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ، لِيُصْبِحَ فِي عِدَادِ الْمَفْقُودِينَ. وَكُلَّمَا
تَدَكَّرْتُ بُكَاءَهُمْ، تَقَلَّقَ قَلْبِي وَهَاجَتْ أَحْزَانُهُ. وَكُلَّمَا تَدَكَّرْتُ اصْفِرَارَ
وُجُوهِهِمْ، وَنَظَرَاتِهِمْ إِلَى الْوَرَاءِ فِي وَدَاعِ دِيَارِهِمْ، تَخَلَّلَتْ أَرْكَانَ نَفْسِي، وَزَادَ
كَمَدُهَا، وَتَبَدَّدَ مَاءُ عَيْنِي.

تَخَلَّلَ: تَحَرَّكَ وَاهْتَزَّ.

كَمَدُهَا: حُزْنُهَا.

انْتَفَضَ الْجَدُّ مُحَاوِلًا الْوُقُوفَ عَلَى عُكَّازَتِهِ، الَّتِي تَشَقَّقَتْ بِفِعْلِ السِّنِّينَ، لَكِنْ ظَلَّ مَلْمَسُهَا حَرِيرِيًّا،
فَهُوَ مَنْ بَرَى نُتُوءَاتِهَا، وَهَدَّبَ حُشُونَتَهَا بِبَيْدِهِ، الَّتِي اعْتَادَتْ أَنْ تُمَسِكَ الْمَقْبِضَ بِقُوَّةٍ أَوْ لِينٍ، وَفُقَ دَرَجَةِ
انْفِعَالِهِ.

سَأَلَتْ رَزَانُ جَدَّهَا: هَلْ سَنَعُودُ إِلَيْهَا يَوْمًا؟

عِنْدَهَا ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ دَافِيَّةٌ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَهَدَّأَتْ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ اطْمَنَّ عَلَى مَصِيرِ
حُلْمِهِ وَرَجَائِهِ بِالْعُودَةِ؛ فَالْحَفِيدَةُ بَاتَتْ مُدْرِكَةً وَاعِيَةً لِرِسَالَةِ جَدِّهَا، الَّتِي أَفْصَحَتْ لَهَا عَنْ سِرِّ الْانْتِمَاءِ،
وَأَصَالَةِ الْأَبْنَاءِ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْوَطَنُ رُوحًا تَسْكُنُ قُلُوبَ أَبْنَائِهِ رَغْمَ غُرْبَةِ اللَّجُوءِ.

المناقشة والتحليل:

1. علّل الجد نشاط ذاكرته وحضور ماضيه في أمّ خالدٍ بأمرٍ كثيرة، نوضّحها.
2. نعلّل كلّ عبارةٍ ممّا يأتي:
 - أ. الملمسُ الحريريُّ لمقبضِ العكازة.
 - ب. بكاءُ الحُقُولِ وِعَضُّهَا.
 - ج. ابتسامَةُ الجدِّ وهدوؤُهُ في نهايةِ القِصَّةِ.
3. رَسَمَ الكَاتِبُ صُورَةً مُؤَلِّمَةً لِلرَّحِيلِ وَنُزُوحِ الفِلَسْطِينِيِّ عَن أَرْضِهِ، نَصِفْ مَلامِحَ هذهِ الصُّورَةِ.
4. ما دَلَالَةُ العِبَارَاتِ الآتِيَةِ:
 - أ. وَتَبَدَّدَ ماءً عَيْنِي.
 - ب. تَدَكَّرْتُ اصْفِرَارَ وُجُوهِهِمْ.
 - ج. ارْتَسَمَتْ عَلَيَّ وَجْهِهِ ابْتِسَامَةً دَافِئَةً.
 - د. حَاوَلَ الْمُحْتَلُّ أَنْ يَكْتُمَ أَنْفَاسَ الحَنِينِ.
5. نُوضِّحُ جَمَالَ التَّصْوِيرِ فِيمَا يَأْتِي:
 - أ. يَغْدُو الجَدُّ صَخْرَةً لَا تُرَعْرَعُ.
 - ب. يُلَاطِفُهَا البَحْرُ بِنَسِيمِهِ المُنْبَعِثِ مِنْ جِهَةِ الغَرَبِ.
 - ج. وَمِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ، طَرَزَتْ شَالَاتٍ لِلْعِزَّةِ وَالْكَبْرِيَاءِ.
6. زَعَمَ قَادَةُ الاِحتِلَالِ أَنَّ الكِبَارَ سَيَموتُونَ، وَالصِّغَارَ سَيُدَسُّونَ وَطَنَهُمْ، نُنَاقِشُ ذَلِكَ فِي ضَوْءِ فَهْمِنَا المُوقِفِ الجَدِّ وَحَفِيدَتِهِ.
7. سَكَّلَ اللِّجُوءُ حَالَةَ ظُلْمٍ وَاضِحَةً لِلسَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ، بِرَأْيِكُمْ، كَيْفَ الخِلاصُ مِنْ هذا الوَاقِعِ؟
8. هُنَاكَ قَرَارَاتٌ أَصْدَرَتْهَا الأُمَّمُ المُتَّحِدَةُ بِخُصُوصِ قَضِيَّةِ اللّاجِئِينَ الفِلَسْطِينِيِّينَ، نَكْتُبُ نُصُوصَ تِلْكَ القَرَارَاتِ، بِالرُّجُوعِ إِلَى مَصادِرِ البَحْثِ.